صـــيد الفـــيل

يَقُولُونَ عَنْ صَيَّادِي الْفِيَلَةِ إِنَّهُمْ مُلَاعِبُ الْمَوْتِ فِي الْغَابَةِ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ فِي عَمَلِهِمْ هَذَا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْهَوْلِ وَالْخَطَرِ ؛ فَالْفِيلُ مِنْ أَشَدِّ الْوُحُوشِ فَتْكًا ، وَإِنْ أَمْسَكَ فَرِيسَتَهُ فَالنَّتِيجَةُ مَوْتٌ مُحَقَّقٌ . وَيُشْتَرَطُ فِي صَيَّادِ الْفِيلِ أَنْ يَكُونَ سَرِيعًا يَقِظًا حَاضِرَ الذِّهْنِ ، صَائِبَ الْمَرْمَى . وَأَنْ يَكُونَ مُلِمًّا بِتَشْرِيحِ الْحَيَوَانِ ، فَإِنَّ إِخْطَاءَ الْمَرْمَى أَوْ إِطْلَاقَ الرَّصَاصِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ يُؤَدِّي إِلَى نَتَائِجَ شَدِيدَةِ الْحَرَجِ وَالْخُطُورَةِ. ذَلِكَ لِأَنَّ صَيْدَ الْفِيلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ ، وَقَلَّمَا يَتَّسِعُ الْوَقْتُ لِإِطْلَاقِ أَكْثَرَ مِنْ طَلْقَتَيْنِ .

وَمِنْ أَشْهَرِ مَنِ احْتَرَفُوا صَيْدَ الْفِيلَةِ ، وَاتَّجَرُوا بِالْعَاجِ : صَيَّادٌ إِنْجِلِيزِيٌّ اسْمُهُ « بِلْ » W. D. M. Bell ، وُلِدَ سَنَةَ ١٨٨٠ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى أَوَاسِطِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَلَمَّا يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَمِمَّا يُرْوَى عَنْ هَذَا الصَّيَّادِ أَنَّهُ صَادَ ١٠١١ فِيلًا فِي مَدَى سِتَّ عَشْرَ عَامًا ، كَانَ يَتَنَقَّلُ فِي خِلَالِهَا بَيْنَ كِينْيَا وَالْكُونْغُو وَالسُّودَانِ وَجَنُوبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَنَّهُ صَادَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ١٩ فِيلًا ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِيدَ ٤٤ فِيلًا . وَكَانَ الْكَسْبُ الَّذِي يُصِيبُهُ « بِلْ » مِنْ عَمَلِهِ هَذَا يَفُوقُ أَيَّ كَسْبٍ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ بِمُفْرَدِهِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ . فَقَدْ بَلَغَ ثَمَنُ الْعَاجِ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَلْفَ جُنَيْهٍ ، وَبَلَغَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْجُنَيْهَاتِ .

وَلَكِنْ تُدْرِكَ أَنَّ ذَلِكَ الْكَسْبَ الطَّائِلَ لَا يَأْتِي بِسُهُولَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، أَنْصِتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْكَ تَارِيخَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ فِي الْغَابِ :

« كُنْتُ أَسِيرُ وَسْطَ أَحْرَاشِ الْكَنْغُو بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِي الزُّنُوجِ ، بَلْ كُنْتُ وَحْدِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَفَجْأَةً لَمَحْتُ قَطِيعًا مِنْ ذُكُورِ الْفِيَلَةِ عَدَدُهُ فَإِذَا هُوَ ٤٥ فِيلًا ، فَاخْتَرْتُ أَتْبَعُهُ ، وَأَرْسُمُ خُطَّةً

الْهُجُومِ ، وَسَمِعْتُ حَفِيفًا شَدِيدًا بِالْقُرْبِ مِنِّي ، فَالْتَفَتُّ بِسُرْعَةٍ ، فَإِذَا بِي أَرَى إِلَى الْيَمِينِ عَلَى بُعْدِ عَشْرِ خُطُوَاتٍ مِنِّي فِيلًا هَائِلَ الْحَجْمِ ، وَإِلَى الْيَسَارِ عَلَى بُعْدِ خَمْسَ عَشْرَةَ خُطْوَةً فِيلًا مِثْلَهُ ، فَرَفَعْتُ بُنْدُقِيَّتِي إِلَى كَتِفِي بِسُرْعَةٍ ، وَأَطْلَقْتُ النَّارَ فَاهْتَزَّتْ أَرْجَاءُ الْغَابَةِ بِصُرَاخِ الْفِيلَةِ ، وَكَانَ عَالِيًا يُصِمُّ الْآذَانَ ، وَكَانَتِ الْأَشْجَارُ تَهْتَزُّ بِشِدَّةٍ ، وَالْفِيلَةُ بِأَجْسَامِهَا الضَّخْمَةِ تَمْدُو هُنَا وَهُنَاكَ وَتُحَرِّكُ آذَانَهَا الْكَبِيرَةَ ، وَتُلَوِّحُ بِخَرَاطِيمِهَا فِي هِيَاجٍ شَدِيدٍ . وَأَخَذْتُ أُطَارِدُهَا وَأُطْلِقُ النَّارَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ بَعْضُهَا يَتَرَنَّحُ ، وَيَسْقُطُ ، وَالْبَاقِي يَعْدُو فِي اتِّجَاهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . وَكَانَ الْجَوُّ شَدِيدَ الْحَرَارَةِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، وَكُنْتُ أَعْدُو وَرَاءَ الْقَطِيعِ ، وَالْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنِّي . وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ ، فَأَرْتَوِي مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ الْمُتَجَمِّعَةِ بَيْنَ ثَنَايَا الْأَشْجَارِ مُخْتَلِطَةً بِالْأَوْحَالِ ، وَكُنْتُ أَمُصُّ الْمَاءَ مَصًّا مِنْ خِلَالِ أَسْنَانِي الْمُطْلَقَةِ ، حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْوَحَلُ إِلَى جَوْفِي . وَاسْتَمَرَّتِ الْمُطَارَدَةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ صَبَاحًا إِلَى الْغُرُوبِ .

وإذا بي أرى الى اليمين على بعد عشر خطوات مني فيلا هائلا . . .

وَلٰكِنِّي لَمْ أُوَفَّقْ إِلَى صَيْدٍ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ فِيَلَةٍ . فَكُنْتُ سَيِّءَ الْحَظِّ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

وَقَدْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقُومَ بِأَغْلَبِ رِحْلَاتِي عَلَى

ولكني لحسن الحظ سقطت على ظهر الفيل

الْأَقْدَامِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الذِّبَابِ الْقَارِصِ الَّذِي يُفْتِكُ بِالْخَيْلِ فِي تِلْكَ الْأَنْحَاءِ ؛ وَلِذٰلِكَ كُنْتُ أَسْتَهْلِكُ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ زَوْجاً مِنَ الْأَحْذِيَةِ الثَّقِيلَةِ .

وَحَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَطْلَقْتُ النَّارَ عَلَى فِيلٍ ، فَهَاجَ وَاندَفَعَ نَحْوِي ، وَالدَّمُ يَنْفَجِرُ مِنْهُ بِغَزَارَةٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَنِي بِخُرْطُومِهِ قَبْلَ أَنْ أَسْتَطِيعَ الْإِفْلَاتَ مِنْهُ ، وَقَذَفَ بِي عَالِياً فِي الْهَوَاءِ ، وَلٰكِنِّي ، لِحُسْنِ الْحَظِّ ، لَمْ أَسْقُطْ عَلَى الْأَرْضِ ، بَلْ سَقَطْتُ عَلَى ظَهْرِهِ فَاخَذْتُ أُنَزِّلُ تَدْرِيجاً ، بَيْنَمَا الْفِيلُ يَتَرَنَّحُ وَيَتَخَبَّطُ ، حَتَّى إِذَا مَا وَصَلْتُ إِلَى ذَيْلِهِ قَفَزْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَهَرَبْتُ بِسَلَامٍ .

وَلَعَلَّ أَهْوَلَ مَا لَاقَيْتُهُ أَنَّنِي صَادَفْتُ مَرَّةً سِتَّةَ أَفْيَالٍ كَبِيرَةٍ ، فَتَبِعْتُهَا عَلَى ظَهْرِ جَوَادِي وَكَانَ مَعِي عَدَدٌ مِنْ كِلَابِ الصَّيْدِ ، وَعِنْدَ مَا أَصْبَحْتُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا أَطْلَقْتُ النَّارَ عَلَى قَائِدِهَا الَّذِي كَانَ يَسِيرُ فِي الْمُقَدِّمَةِ ، فَسَلَا صِيَاحُهَا وَهَاجَتْ هِيَاجاً شَدِيداً . أَمَّا الْفِيلُ الْمَجْرُوحُ فَقَدْ هَزَّ كَتِفَيْهِ وَاتَّخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الْغَابَةِ هَرَباً ، فَتَبِعْتُهُ ، وَالْكِلَابُ تَسْبِقُنِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَطْلَقْتُ عَلَيْهِ النَّارَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ اتَّجَهَ نَحْوِي وَاندَفَعَ يُهَاجِمُنِي بِشِدَّةٍ وَكَانَتْ حَرَكَةُ الْجَوَادِ لَا تُمَكِّنُنِي مِنْ إِصَابَةِ الْفِيلِ إِصَابَةً قَاتِلَةً ، فَوَثَبْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَصَبْتُ الْفِيلَ فِي رَأْسِهِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعْبَأْ بِالْإِصَابَةِ ، بَلِ اندَفَعَ نَحْوِي حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى قَيْدِ خُطُوَاتٍ مِنِّي ، فَأَصَبْتُهُ فِي الْجَبْهَةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَهْدَأْ بَلْ زَادَ هِيَاجُهُ ، وَكَادَ يَقْضِي عَلَيَّ لَوْلَا أَنِّي تَمَكَّنْتُ فِي

اللحظةِ الأخيرةِ منَ امتطاه جوادى والهرب منه جانبى وجهه . ولكنه استمر يطاردنى فأطلقت
واختفى الفيلُ عنِ الأنظارِ ، ولكنى لمحته بعد عدة طلقات سريعة أصابته بين كتفيه ، وعلى

اما الفيل المجروح فقد هز كتفيه واتخذ طريقه الى الغابة هربا فتبعته . . . . . .

برهة ، والدم ينزف من جروحه بغزارة ، جانبى جبهته . وعند ذلك فقط هدأت ثائرته ،
فأطلقت النار عليه مرتين فأصبته فى ظهره ، وخف صراخه ، وأخذ يحرك خرطومه فى بطء
ولكنه لم يسقط ، فاقتربت منه مرة أخرى ، إلى أعلى وإلى أسفل ، ثم هوى بشدة على
ونزلت من فوق ظهر الجواد ، وأطلقت النار على جانبه . »